جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

دور الاعلام الداخلي في مواجهة الغزو الاجنبي

الاستاذ : محمد عباس

الرياض

1407 هـ - 1987 م

دور الاعلام الداخلي في مواجهة الغزو الأجنبي

الأستاذ محمد عباس*

أبادر بالتعبير عن سروري وارتياحي لهذه الدورة من برنامج الخطة الوقائية العربية، والموضوعات الهامة جداً التي أثيرت وتثار خلالها

ولعل ما يبرر سروري وارتياحي هو الشعور بأننا بدأنا نعالج القضايا المصيرية بالاهتمام الكافي والجدية المطلوبة، وطفقنا نتجاوز الوعي الفضفاض المزيف الذي يغذي التشاؤم واليأس، الى الوعي العلمي الذي يفتح باب التفاؤل والأمل.

ان موضوع الغزو الثقافي وكيفية مواجهته بشتى الوسائل المتوفرة لدينا ومنها الاعلام الداخلي الذي اتناوله في هذه المعالجة جد خطير، ولكني أحاول أن أبين وظائفه وجوانب تقصيره في ادائها ثم الدور المنتظر منه في اطار عملية التحرر الثقافي الشامل.

ولكن قبل الدخول في صميم الموضوع يجدر بنا ان نتوقف قليلا عند اشكالية الغزو الثقافي الذي يتعرض له العالم العربي والاسلامي.

ان اشكالية الغزو الثقافي يمكن تلخيصها في عبارة شائعة قد تبدو بريئة وسليمة في مظهرها ولكنها مغرضة وخاطئة في حقيقتها، انها عبارة اتفق العرب على الاّ يتفقوا.

ان المحتوى الحقيقي لهذه العبارة الجديرة بمصالح الحرب النفسية المعادية هو اتفق الغرب الاستعماري والصهيونية على الاّ يتفق العرب والمسلمون.

---

* رئيس تحرير جريدة الشعب. وأمين عام اتحاد الصحفيين الجزائريين.

ان العمل على تقسيم العرب والمسلمين ايديولوجية سائدة في اوروبا وأمريكا، وسياسة مطبقة باحكام، لأن الغرب الاستعماري المتحالف مع الصهيونية ـ باعتبارها رأس حربته في الوطن العربي ـ يعتقد اعتقادا راسخا ان في اتحاد العرب والمسلمين تهديدا مباشرا لأمنه ومصالحه.

وربما ان الوطن العربي يشكل الخط التصادمي الأول في هذا الصراع التاريخي، وسبق له ان هدد اوروبا مباشرة على عدة جبهات شرقا وغربا، كان التركيز عليه، وكان منذ مطلع القرن الماضي موضوع حرب شاملة تستعمل فيها كل الوسائل الممكنة والمحتملة.

ويبدو الهدف الرئيسي لهذه الحرب الشاملة هو فرض السيطرة الثقافية على العرب باعتبارها مطية للاستعمار السياسي والاقتصادي.

ونسجل هنا ان الاحتكاك التصادمي الأول بين الحضارتين الأوروبية والعربية والاسلامية، كان سلبيا في اغلبه بالنسبة الينا، اذ اتبع المنحى التالي هزيمة عسكرية ثم انبهار حضاري تلاه استلاب فكري فتبعية ثقافية، وكان من الثمار المرة لهذا الاحتكاك ظهور "مثقفين" ينطلقون في رؤيتهم لواقعهم من زاوية أوروبية ومن أرضية ثقافية غير الأرضية العربية الاسلامية

ويلعب الاعلام الأجنبي دورا بارزا في خلق هذه الوضعية غير الطبيعية وتغذيتها واستمرارها وتوسيع نطاقها.

فهو يركز هجماته ويوجه سمومه المخدرة لمختلف فئات المجتمع العربي الاسلامي ويمكن حصر هذه الفئات بصفة عامة في ثلاث:

الفئة الأولى: تتمثل في اصحاب الحل والعقد، وتحظى هذه الفئة بعناية خاصة، اذ يصوب نحوها الاعلام المباشر (الاتصالات الرسمية وغير الرسمية) وغير المباشر (الاتصالات عبر الوسائل).

والهدف الأولي لهذه العناية الخاصة هو التأثير في القرار وتوجيهه في اتجاه الاختلاف والتنافر والتناحر حتى لا يتم الاتفاق والتقارب والاتحاد.

ويعمل الاعلام الاجنبي في هذا الصدد من اجل تخريب الثقة بين الأشقاء حتى لا يجتمعوا على رأي، أو يصلوا الى تفاهم يكون حتما لصالح الأمة العربية الاسلامية.

وطريقته في ذلك ترويج المعلومات المختلفة والاشاعات المغرضة بهدف زرع الهواجس والشكوك. وللاعلام الأجنبي في هذا المضمار تجربة طويلة في احتكار المعلومات والتلاعب بها لتحقيق اهداف محددة.

الفئة الثانية: تتمثل في النخبة ذات الصلة المباشرة بمصدر القرار والتي يمكن ان تساهم بواسطة علاقاتها في صنع هذا القرار أو التأثير في اتجاهه على الأقل. وهذه الفئة ايضا تحظى بعناية خاصة نظرا لمكانتها الاستراتيجية وتمكين بعض عناصرها الى موقع القرار ذاته

الفئة الثالثة: وتتمثل في الجمهور المتفتح على الاعلام الأجنبي بصفة عامة

ويتم التأثير على الجمهور بواسطة استغلال بعض مظاهر الحرمان الناتج عن التخلف، والتلويح ببهارج السراب الحضاري بغية تعميق الاحباط المتولد من تحطيم للمعنويات وتثبيط للعزائم، وتسيب اخلاقي يضاعف من الصعوبات التي تواجهها القيادات الوطنية في القيام بتعبئة المواطنين تعبئة جادة للمساهمة بشكل حاسم في معارك التنمية الشاملة.

وهنا نصل الى الاعلام الداخلي ودوره في حماية جمهوره بمختلف فئاته من هجمات الاعلام الأجنبي وحرب المعلومات التي يخوضها الغرب الاستعماري والصهيونية ضد الأمة العربية الاسلامية

والملاحظة الأولى في هذا الصدد ان المعركة غير متكافئة كذلك على الصعيد الاعلامي، وهنالك عوامل موضوعية وذاتية تجعل الاعلام الداخلي ـ الا نادرا ـ عاجزا عن احتواء جمهوره وحمايته بحاجز معنوي يقيه التأثيرات الخارجية أو يخفف من خطورتها على الأقل.

العوامل الموضوعية:

أ ـ هيمنة المعسكر الاستعماري الصهيوني على سوق المعلومات ووسائل الاتصال، وتكفي الاشارة هنا الى أن أربع وكالات أنباء غربية تحتكر حوالي ٦٥٪ من المعلومات الصحفية، وترتفع النسبة في المواد الاعلامية المصورة الى اكثر من ٨٠٪.

ب ـ وجود الوطن العربي في حالة دفاع عن النفس نتيجة حرب المعلومات التي يتعرض لها، بالاضافة الى موقعه الجغرافي السياسي وانفتاحه الواسع على الاعلام الغربي، ولكن هناك عوامل ذاتية تحتاج الى التركيز حتى تتحدد المسئولية أكثر وتتبين أوجه التقصير بصورة أفضل.

أهم هذه العوامل:

أولا: الاعلام العربي السائد هو اعلام قطري في مجمله اي اعلام انظمة محدودة في الانتشار والتأثير بالضرورة لأنه يعتمد خطا سياسيا ضعيف الصلة بواقع الجماهير العربية وتطلعاتها

فقليلة هي الصحف التي تشذ عن القاعدة أو تتجاوز الحدود القطرية.

ثانيا: ان الاعلام العربي مثقل بمظاهر التخلف التي يحملها الواقع العربي أبرز مظاهر هذا التخلف.

أ ـ النظرة الى الاعلام من زاوية الثنائية التقليدية، ثنائية المدح والهجاء فالاعلام كحاجة اجتماعية سياسية قليل الرواج.

ب ـ طغيان الشعارات على المعلومات، فاعلامنا ما يزال يواجه صعوبة في التعامل مع الواقع والمعلومات، نتيجة ضعف شبكات الاعلام الداخلية وضعف سيولة المعلومات بين المصادر والوسائل.

جـ ـ اعتبار بعض الأنظمة لرجال الاعلام مجرد ادوات لا شركاء، وشتان بين العميل والحليف.

د ـ تبعية الاعلام العربي لوكالات الأنباء الغربية المغرقة بدرجات متفاوتة من طرف الصهيونية العالمية، فاعلامنا يستخدم المواد الأولية المصنعة بخبث في الغرب، ويروج احيانا بوعي او بدون وعي معلومات من صميم الحرب النفسية التي تستعملها الصهيونية العالمية وحلفاؤها ضد الشعوب العربية.

ثالثا: الاعلام العربي لا يساهم بقدر كبير في نشر الوعي القومي التحرري

بل نراه كثيرا ما ينفخ الضياع في الجماهير ويعمق الاستلاب وبعث اليأس في النفوس واستصغار الذات العربية، وهو بذلك وبدون قساوة يمكن ان يعتبر حليفا موضوعيا لأعداء الأمة العربية

رابعا: ان الاعلام قليل الاطلاع على الواقع العربي في تنوعه وشموليته لذا نراه يروج من المعلومات عن الدول الاستعمارية اضعاف المعلومات التي يبثها حول الأقطار العربية، وجهل الصحافيين العرب بالأقطار الشقيقة شائع ومعروف، بعضهم لا يحسن حتى التلفظ باسماء المدن العربية المشهورة مثل: نطق (وهران. أوران)، (وتبسة، طيبة)، (وأبو ظبي، دبي)، وهلم جرا

واستحكم هنا في الاستشهاد بحادثة اصبحت في اوساط الصحفيين الجزائريين وخلاصتها ان زميلا من العاملين باللغة الفرنسية ذهب فى وفد اعلامي الى الجمهورية العربية اليمنية أيام الرئيس القاضي الأرياني، وحظي الوفد باستقبال الرئيس الأرياني وكان يرتدي الزي التقليدي متمنطقاً خنجره المعهود بكل جلال ووقار ودون سابق انذار، هب الزميل يسأل قائلا حضرة القاضي العرياني.

وهذا دليل آخر على سوء الحال والعاقبة، فحتى المعلومات التي نستقيها عن بعضنا نحفظها أو ننقلها محرفة عن الاعلام الأجنبي.

ان اعلامنا المثقل بمثل هذه العوامل السلبية من الصعب ان نتنظر منه القيام بدوره التحرري والوقائي على أحسن وجه.

فالمطلوب اولا وقبل كل شيء - على ضوء النقائص المسجلة - ان نراجع هذا القطاع مراجعة عميقة لنجعل منه ادارة فعالة في عملية التحرر الثقافي كسبيل وحيد لاستكمال الاستقلال السياسي والاقتصادي واستكمال السيادة المستوردة. فلا حرية الاَّ حرية الفكر ولا حصانة الاَّ حصانة الضمير المتحرر. فعندما نتعلم كيف نفكر انطلاقا من بعدنا الحضاري، وكيف نوظف طاقاتنا الفكرية في معرفة انفسنا والدفاع عن مصالحنا الحيوية وكيف نهضم المنهج العلمي وأساليب البحث المتطورة يومئذ يتسنى لنا القول بأننا شَرعنا نحو الانعتاق التام للقضاء على رواسب الهيمنة الاستعمارية وكل

مظاهر الاستسلام والتبعية، وبدأنا نحصن أنفسنا بالفعل ضد كل مظاهر الغزو الثقافي والبدع الأخلاقية، وهنا نصل الى بيت القصيد: ترى ماهو الدور الذي يمكن للإعلام الداخلي أن يضطلع به ضمن هذه العملية الثقافية الحضارية الشاملة؟

نظام عربي للمعلومات: نلاحظ أولا في هذا الصدد ان اهمية دور الاعلام الداخلي وفعاليته مرهونة باعتماد الاعلام على نظام عربي للمعلومات، فمن هذا النظام يستمد الاعلام استقلاليته ومقدرته على التأثير ايجابياً، وهناك ثلاثة عوامل أساسية تتحكم في اقامة مثل هذا النظام باعتباره منطلقاً مهماً للعلاقات العربية في كافة الميادين.

أولا: توافر الارادة السياسية العربية كأساس لكل مشروع قومي. ويمكن لهذه الارادة المشتركة ان تعبر عن نفسها من خلال الجامعة العربية كراعية للمصلحة العليا وكهيئة تسمو على الانظمة وحساباتها الخاصة.

ثانيا: الاهتمام اكثر بتصنيع المعلومات الخاصة بالوطن العربي وبتخزينها وتبادلها بين الأقطار العربية وهذا التصنيع عملية استراتيجية في منتهى الأهمية لأنه من غير المعقول بناء فكر مستقل وحر بمواد أولية مستوردة وموجهة بخبث في خدمة مصالح معينة

ثالثا: شبكة اتصالات بين الأقطار العربية تسخر لخدمة نظام المعلومات المستقل، ويعتبر مشروع القمر الصناعي العربي حدثا بارزا في العلاقات العربية شريطة توظيفه في تبادل معلومات عربية بين اقطار عربية بالدرجة الأولى لا لتكريس وضعية التبعية الراهنة وضعية تلقي واستيراد المعلومات من الدول الغربية بصفة خاصة

والملاحظ على مستوى آخر ان لمعظم الأقطار العربية، وكالة انباء محلية لو اشتغلت كمكاتب قطرية وتعاونت فيما بينها على الصعيد الدولي لتقلصت الى حد كبير تبعيتها في هذا الميدان الاستراتيجي الخطير

ومعنى ذلك ان تعريب المعلومات شكلا ومضمونا من شأنه ان يفسح المجال للاعلام الداخلي كي يلعب دورا وقائيا على أكمل وجه، ترى ما

المطلوب اليوم من هذا الاعلام على ضوء القوى المتصارعة في الحقل الاعلامي الدولي والامكانيات البشرية والمادية المتاحة له؟

ان المهمة الرئيسية التي تمليها المرحلة التاريخية التي يمر بها الوطن العربي تتمثل أساساً في تأمين اصحاب الحل والعقد ومراقبة وحماية الأوساط المقربة منهم وتحصين المواطن العربي بصفة عامة ضد محاولات التأثير والاستلاب وسموم الدعاية الغربية الصهيونية، والهدف من ذلك هو ترشيد الوعي السياسي وشحذه الى ان يصبح "حاجزا معنويا" منيعا يصد مختلف أمواج التأثيرات السلبية الخارجية التي تستهدف القرار العربي المستقل أو التأثير الدعائي والتشويش على القيادات الوطنية

ترى كيف يمكن الوصول الى مثل هذه المناعة الفكرية الواقية؟

اسمحوا لي في هذا السياق أن اعود معكم قليلا الى تجربة الثورة الجزائرية ابان الكفاح التحرري. لقد استطاعت ثورتنا بالامس مستعملة الاعلام المباشر والمناشير السرية وصحيفة المجاهد وفترات محدودة من البث الاذاعي استطاعت ان تحتوي القوى الحية في شعبنا وتحيطها بسياج عازل، لم تكن تجدى امامه شيئا لا ترسانة الاعدام الفرنسي والغربي الصهيوني بصفة عامة، ولا كل هجمات الحرب النفسية الصادرة عن الجيش الاستعماري.

لقد كان اعلام الثورة الجزائرية، رغم بساطة وسائله وإمكانياته المحدودة الحق كل الحق في نظر المواطن، وكان الاعلام الاستعماري الزيف كل الزيف.

ان هذا المثل على بساطته يضع بين ايدينا ما يجب على اعلامنا الداخلي بمختلف اشكاله الاضطلاع به اليوم.

فهو مطالب بقلب علاقة التناسب القائمة حاليا بين الاعلام العربي في مجمله والاعلام الاجنبي من تناسب عكسي في صالح هذا الأخير الى تناسب عكسي في صالح الاعلام العربي.

ان درجة تقبل الاعلام العربي من المفروض ان تنمو باطراد بينما تتقلص درجة تقبل الاعلام الأجنبي بنفس الوتيرة.

ترى كيف يمكن الوصول الى مثل هذه النتيجة الأولية الهامة؟

ان النشاط الاعلامي كما سبقت الاشارة يستمد قوته وفعاليته من عملية التحرر الثقافي الشاملة، لذا فالمقترحات التي نستعرضها معكم كمحاولة اجابة انما تندرج ضمن هذا المنظور الشامل.

ويمكن تقديم هذه المحاولة تحت العناوين التالية:

أولا: العلاقة بين المواطن والقيادة:

يمكن ان نسجل في هذا المستوى مايلي:-

أ ـ العمل الواعي المسئول والمباشر من أجل الحفاظ على طيبة العلاقات بين المواطنين وقياداتهم، حتى يظل التواصل بين الطرفين جيدا على الدوام ذلك ان التواصل السيء بين الطرفين هو اكبر حليف للتسلل الأجنبي بكل اشكاله والوانه.

ب ـ مصارحة المواطن بأنه يواجه حربا شاملة، يعد الاعلام الأجنبي من امضى أسلحتها حتى يفطن لمخاطر هذا الاعلام ، فيتلبس حالة المقاومة واليقظة التي تساعد المسئولين ورجال الاعلام في تعويض الاعلام الجماهيري الى حد ما، مع الاستفادة من مزايا الاعلام المباشر بأكبر قدر ممكن.

ثانيا: العلاقة بين القيادة ووسائل الاعلام.

لعل من اهم الاجراءات التي يمكن ان تنبني عليها علاقة ناجحة بين القيادة والاعلام كسلاح سياسي وجهاز في خدمة سياسة معينة مايلي:

أ ـ اعتماد اجهزة الاعلام كمصدر مستقل للمعلومات، لأن الاعلام الجماهيري في أسوأ حالاته يمكن ان ينور القيادات في مواقف وقضايا هامة قد تغفل المصادر الرسمية وشبه الرسمية الأخرى عن جوانب منها.

ب ـ ضرورة تعصب القيادة للإعلام الداخلي وتشجيعه في مرحلة أولى على علاته ونقائصه، وذلك حتى يحسن مواقعه في صفوف المواطنين ويكسب ثقتهم وتقديرهم.

جـ ـ اقامة علاقات ذكية مع المؤسسات الاعلامية ومساعدتها في القيام بدورها كخلايا توعية وتنوير وتحصين ضد الغزو الاعلامي الثقافي.

ثالثا: اجراءات تخص العمل الاعلامي:

أ ـ توجيه الاعلام الداخلي نحو تعميق الوعي بحقيقة وجود تخلف مزدوج تخلف عن العصر الذي لم نهضم بعد منجزاته الأساسية في مجالات المعرفة العلمية وأدوات البحث والانجاز الثقافي.

ان هذا التوجه ضروري في كل مشروع حضاري جدير بالنجاح. لأن الاعتراف بالجهل ـ كما يقول الحكماء ـ ضرب من المعرفة، ومرحلة متقدمة من الوعي الأساسي، لأن معرفة النفس كذلك هي البداية الطبيعية لمعرفة الآخرين واكتشاف من حولنا.

ب ـ الدراسة العلمية لحاجات الجمهور بمختلف فئاته والاستجابة الملائمة لها، حسب مبدأ لكل مقام مقال.

جـ ـ توفير الانتاج العربي الرفيع مع المواد الاعلامية مع التحكم في عملية استيراد المواد الأجنبية المكملة

ان طموحنا في هذا المجال يمتد نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي من المعلومات، واستيراد ما يهمنا كمواد خام، لا كمواد جاهزة وموجهة اذ ما جدوى القمر الصناعي العربي مثلا، ان كنا نستعمله في ترويج المواد الاعلامية المستوردة؟

د ـ تكثيف المبادلات الاعلامية العربية لتلبية حاجة الانتماء القومي وسد ثغرة هي الآن مستغلة من الاعلام الاجنبي على أوسع نطاق.

هـ ـ مضاعفة امكانيات الاتصال المباشر بين الاقطار العربية، حتى تستجيب للمطلب السابق وتساهم في تخفيض حدة التبعية في هذا الميدان بالذات، حيث نلاحظ بأسف أن اتصالات الأقطار الشقيقة بالدول الرأسمالية الكبرى اكثر من اتصالاتها فيما بينها.

و ـ تعميق معرفة الاعلاميين العرب بالأقطار الشقيقة حتى تنتشر هذه المعرفة وتعم الجماهير العربية العريضة.

والمؤسف ايضا ان نلاحظ في هذا الصدد ان بعض الزملاء

الاعلاميين يروجون جهلهم بما يجري في البلدان العربية اكثر مما يروجون معرفتهم بها وهي محدودة بصفة عامة

ز ـ تحرير الاعلام الجماهيري العربي من النزعة التجارية والاتجاه الانحلالي المتمثل في دغدغة العواطف والغرائز البهيمية.

هذه بعض مقترحات في اطار محاولة اجابة عن جانب من التساؤلات الهامة والمصيرية حول الاعلام الداخلي في مواجهة الغزو الثقافي والخلقي الزاحف على شعوبنا من الشمال والغرب بصفة خاصة.

وقد تجرأت في هذه المعالجة، فخضت في موضوع على قدر كبير من التشعب، وحاولت الاجابة عن سؤال جد معقد انطلاقاً من هدف محدد:

مضاعفة القدرة الاحتوائية للاعلام الداخلي وتوظيفه بأسرع ما يمكن وبفعالية متزايدة في سد ما يمكن من الفراغات الكثيرة التي يعانيها الواقع العربي.

والواجب ان نتعاون جميعاً لفك ألغاز الغزو الثقافي الأجنبي، وحماية أنفسنا وتحصين مواطنينا من تأثيراته السلبية التي تمس استقلالنا وسيادتنا وتشل طاقاتنا الابداعية، وليكن تعاوننا بعد الآن تحت شعار:

"اتفق العرب على الاَّ يختلفوا"، علماً بأن الاعلام الداخلي يمكن أن يلعب دوراً حاسماً في تحقيق هذا الشعار.

ومرة أخرى أشكر الاخوة المشرفين على هذه الدورة الذين أتاحوا لي هذه الفرصة الثمينة، فرصة اللقاء بكم والتحاور معكم.